



البنى الحجاجية في الخطاب النسوي: حديث "أم زرع" نموذجاً

Les structures argumentatives dans le discours féministe "Hadith Oum Zaraa" un modèle

يوسف بن سعدة¹ ، عامر بن شتوح²

1-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر yousefbensaada@gmail.com

2-جامعة عمّار ثليجي – الأغواط – الجزائر ameura73@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الاستلام: 2019-08-21

ملخص -

لعلّ الخطاب النسوي واحد من تلك الأجناس الخطابية؛ له خصوصية حجاجية تداولية؛ تهدف هذه الدراسة إلى محاولة كشفها اعتماداً على المنهج الوصفي وآليات التحليل الحجاجي المنبثقة من نظرية الحجاج اللغوي التي أرسى قواعدها ديكرودucrot وأنسكومبرAnscombre، وآليات البلاغة الجديدة التي أقام دعائمها برلمانPerlman على الإرث الأرسطي. ومدونة هذه الدراسة هي حديث "أم زرع" المتضمن لمجموعة خطابات نسوية ترويهما عنهم عائشة "رضي الله عنها". هاته المقاربة الحجاجية لهذا الخطاب التراثي بدأت بجملة الآليات شبه المنطقية ثم السلم الحجاجي، وانتهت بحجاجية البنية الإيقاعية لتلك الخطابات. لتخلص الدراسة إلى أنّ الخطاب النسوي لا يقل بلاغة وقوة حجاجية عن سائر الخطابات، وهو كفيل أن يُدرج ضمن أرقى أجناس الخطاب وأكثرها تأثيراً. كما تفنّد هذه الدراسة الفكرة السائدة القائلة بتفوق الرجال في بلاغتهم على النساء.

الكلمات الدالة-

حجاج، خطاب، إقناع، نسوي

Abstractle

Discours Féministe Est Peut-Etre Un Seul De Ces Discours. Il A Une Caractéristique Argumentative Et Pragmatique. Le But De Cette Etude Est D'essayer De Savoir Ces Caractéristiques .En Fonction De L'approche Descriptive Et Des Mécanismes D'analyse Argumentative Affilié De Théorie De L'argumentation Linguistique Qui A Fixé Ses Règles "Ducrot" Et "Anscombe", Et Les Mécanismes De Nouvelle Rhétorique Qui A Fixé Ses Règles Par "Perlman" Basé Sur Le Patrimoine Aristotélicien. Et Sujet De Cette Etude Est Analyse De « Hadith Oum Zaraa », Qui Contient Des Discours Féministes Raconte Par «Aicha Radhia Allah Anha ». Cette L'approche Argumentative De Ce Discours Patrimonial A Partir Avec Des Mécanismes Paralogiques Et Ensuite L'échelle Argumentative, Et Terminé Avec Argumentation De Structure Rythmique Pour Ces Discours, Conclut Cette Etude Que Le Discours Féministe N'est Pas Moins Eloquent Et Convaincant Comparé A D'autres Discours. Il Peut Etre Inclus Entre Les Discours Les Mieux Genres Et Les Plus Convaincre. Cette Etude Réfute L'idée Vulgaire Ce Qu'elle Dit : La Supériorité Des Hommes Dans Leur Eloquence Aux Femmes. Et Réfuter La Vision Qui Affilié Les Valeurs De La Rhétorique Pour Les Hommes.

Mots Clés -

Argumentation, Discoure, Persuasion, Féministe

1. مقدمة

قد لا نبالغ حين نقول: إنّ الحديث عن الأسس النظرية للحجاج (البلاغية، المنطقية واللسانية) ضرب من البداهة، وقد نفتري كذبا حين نجعل دراسة الخطاب أمرا مكتملا، وآية ذلك الزخم الذي عرفه الحقل الحجاجي في شقه النظري، وطبيعة الخطاب التي تجعله لا يقدم نفسه لقراءة واحدة بل لا تنتهي دلالاته بانتهاؤه أنواع مقارباته فهو الخطاب المفتوح على كل القراءات.

ومما لا شك فيه أنّ الخطابات ذات طبيعة حجاجية متفاوتة بتفاوت الأدوات الموظفة فيها والمحشودة لها إلى درجة أنّنا نقف مدعنين أمام بعض منها. إنّ الخطاب يصنّف بحسب موضوعاته كما يصنف بحسب منتجه؛ وهذا التصنيف الأخير نعني به أنّ هناك خطابات تصدر عن النساء على غرار الرجال تُنعت بالخطاب النسائي أو النسوي؛ وهو بذلك جدير بأن توضع له مقارنة تداولية حجاجية تقتصر على جنس حجاجي واحد أو بالأحرى آليات حجاجية واحدة، ولعلنا نختار في هذه الدراسة تلك الآليات التي أرسى قواعدها صاحب البلاغة الجديدة برلمان وتتيكاه.

نرتئي أن نجعل من الخطاب النسوي الأصيل مدونة لهذه الآليات، وهذه المدونة هي خطاب عائشة رضي الله عنها فيما ترويه عن جملة الزوجات التي التقت بهنّ، وعن حديثها مع الرسول صلى الله عليه وسلم، والحديث هو بعنوان: "حديث أم زرع".

ولعلّ الإشكالية التي يحاول أن يجيب عنها هذا الموضوع تكمن في كشف مخبوءات الخطاب النسوي من خلال المدونة المطروحة من وجهة حجاجية تحليلية اعتمدها برلمان؛ وهي آليات مؤسّسة على المنطق والرياضيات، ووسمها بـ"الآليات شبه المنطقية التي تعتمد المنطق والرياضيات" ناهيك عن نظرية الحجاج اللغوي التي تعزى إلى "ديكرو" Ducrot.

♦ نص المدونة (الحديث):

روى البخاري (5189)، ومسلم (2448) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا. قَالَتِ الْأُولَى زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ، غَثٌ عَلَى رَأْسٍ

جَبَل، لَا سَهْلَ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينَ فَيَنْتَقِلُ. قَالَتِ الثَّانِيَةُ زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ. قَالَتِ الثَّالِثَةُ زَوْجِي الْعَشْتُقُ، إِنْ أَنْطُقُ أَطْلُقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أُعَلِّقُ. قَالَتِ الرَّابِعَةُ زَوْجِي كَلِيلُ تَهَامَةٍ، لَا حَرَّ، وَلَا قُرَّ، وَلَا مَخَافَةَ، وَلَا سَامَةَ. قَالَتِ الْخَامِسَةُ زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهَدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ. قَالَتِ السَّادِسَةُ زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ، قَالَتِ السَّابِعَةُ زَوْجِي غَيَّيَاءُ أَوْ عَيَّيَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَكٍ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكِ. قَالَتِ الثَّامِنَةُ زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ. قَالَتِ التَّاسِعَةُ زَوْجِي رَفِيعُ الْعُمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ. قَالَتِ الْعَاثِرَةُ زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمَرْهَرِ أَيْقَنَ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ. قَالَتِ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنْاسَ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، وَبَجَحَنِي فَبَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشِقِّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيظٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحَ وَارْقُدْ فَأَنْصَبْ، وَأَشْرَبُ فَاتَّقَحْ، أَمْ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أَمْ أَبِي زَرْعٍ عَكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِ شَطْبَةٍ، وَيَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْحَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلَّةُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيئًا، وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيئًا، قَالَتِ خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمَخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ، فَطَلَقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِيئًا وَأَرَاخَ عَلَى نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِّي أَمْ زَرْعٍ، وَمِيرَى أَهْلِكَ. قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ أُنْيَةِ أَبِي زَرْعٍ. قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمْ زَرْعٍ"¹.

2. - طرائق الوصل: وتتفرع إلى أنواع ثلاثة:

الحجج شبه المنطقية، الحجج المؤسسة على بنية الواقع، الحجج المؤسسة لبنية الواقع، وكل من هذه الثلاثة له تفرعاته.

2- 1- الحجج شبه المنطقية:

وهي الحجج ذات الطبيعة المنطقية والرياضياتية تستمد آلياتها من هاتين الأخيرتين.

2- 1- 1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد المنطق:

تنقسم هذه الحجج إلى ثلاثة أنواع: التناقض، والتماثل، وقاعدة العدل.

2- 1- 1- 2- التناقض وعدم الاتّفاق: incompatibilité :

في هذا النوع يؤتى بقضيتين متناقضتين في مقام واحد بهدف اختيار واحدة منهما أو تغليب قضية على أخرى، أو بيان التناقض في القضية ككل؛ والتناقض غير التعارض؛ "فالتناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكلن. أما التعارض فيحدث في علاقة الملافيظ بالمقام"²؛ أي التعارض هو بين المقال والمقام، والتناقض بين العبارات مع موافقته لملايسات المقام. ونظير هذا التناقض قول الزوجة الأولى عن زوجها: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ. فاستطاعت أن توظف هذا النوع الحجاجي من خلال إدراج حجة تناقض وعدم اتفاق للوصول إلى النتيجة المرجوة. لتبيان ذلك نورد الحجة والنتيجة في الجدول الآتي:

الحجة	النتيجة
زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ	لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ

إنّ الحجة الواردة قائمة على عدم الاتفاق؛ فعبرة (لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ) لا تتفق منطقياً مع عبارة (عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ)، وإيراد هذا التناقض هو من أجل الوصول إلى نتيجة قائمة كذلك على التناقض ألا وهي: (لَّا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى) تناقض (لَّا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ). وكان بإمكانها الاكتفاء بفاصلة واحدة كقولها " لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ" لوصف زوجها باللحم الهزيل - أي لا ترجى منه فائدة - ولكنها لما أرادت أن تشنّع به جنحت إلى حجة التناقض لنعت "زوجها بالبخل وقلة الخير، وبُعدّه من أن يُنال خيرُه -مع قلته - كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذي يُزهد فيه فلا يطلب، فكيف إذا كان في رأس جبل صعب وعراً"³

و هذا النوع الحجاجي صنفه باتريك شارودو Patrick Charaudeau ضمن أشكال البرهنة وأدرجه في الاختيار التعاقبي بمصطلح التنافر وهو برهنة أو

استنتاج ناشئ من علاقيتين حجاجيتين يحتم فيهما المحاجج على المتلقي اختيار أحدهما وإن كان كلاهما سلبيا، فهذا الصنف الحجاجي هو "تقابل (أ1 — أ2 وأ1 — أ2) ويترك إمكانية الاختيار بين الاثنتين أو بين التنافر الذي قد ينتج عن الوصل بينهما"⁴، وباعتبار سلبية وإيجابية كل قضية حجاجية يكون هناك احتمال أربعة أحكام لكل علاقة حجاجية: "إيجابية إيجابية" أو "إيجابية سلبية" أو "سلبية سلبية"، كما يمكن - في احتمال رابع - أن يكون التنافر بسيطا، ونظير ذلك قول الزوجة الثالثة: "زَوْجِي الْعَشَقُّ إِنَّ أَنْطَقَ أُطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ"؛ فالخيار الأول في قولها "إِنَّ أَنْطَقَ أُطْلَقَ" ذو علاقة سلبية، والخيار الثاني في قولها: "إِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ" ذو علاقة سلبية كذلك، والهدف من إيراد خيارين سلبين هو إثبات أهلية زوجها أو عدم اقتناعها هي بزوجها، واجتماع الحجج السلبية هو بالضرورة نتيجته سلبية. يمكن أن نضع هذه العلاقة الحجاجية في الجدول الآتي:

الْحُجَّة	قيمتها	النتيجة
إِنْ أَنْطَقَ أُطْلَقَ	سلبية	سلبية
إِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ	سلبية	

والاعتماد على هذه الحجج تكرر في أغلب مفاصل هذا الخطاب. ودلالة التكرار مردّها إلى بيان تناقض الرجال في سلوكياتهم.

2- 1- 1- التّمائل:

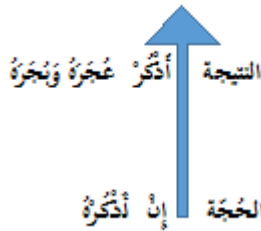
وهو ضرب من إيراد الشواهد الشبيهة ببعضها، كظاهرة التكرار والتّرادف، وغيرها من الظواهر التي من شأنها أن تؤكد قضية ما مناسبة لمقام يقتضي ذلك، و"صيغة التّمائل ليست إلّا طريقة شكلية نتوخّاها في تقويم شيء ما تقويما إيجابيا أو سلبيا بواسطة الحشو le pléonasme"⁵، والحشو لا يرد اعتباريا، بل تكون الدلالة الأقوى حجاجيا للعبارة الثانية المكررة أو المردفة؛ يقول عبد الله صولة في إشارة إلى قول برلمان Chaïm perleman⁶ "حين أرى ما أرى أفكر في ما أفكر": "ففي هذا القول نجد اللفظ الثاني دائما هو الذي

يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار⁷، ونظير هذا في الأساليب النحوية ظاهرة التوكيد اللفظي. وحجة التماثل لا تختلف كثيرا عما أتى به صاحب الإيضاح في علوم البلاغة في باب المجاز المرسل حين شرح قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ♦♦♦ فنجهل فوق جهل الجاهلينا⁸

فذكر أن الجهل الأول هو على وجه الحقيقة، والجهل الثاني هو مجاز وهو تعبير عن المكافأة عن الجهل؛ فالمكافأة مُسَبَّب؛ والجهل سبب فذكر السبب بدل المسبب⁹. والملاحظ أن لا اختلاف بين رؤية عبد الله صولة حين جعل اللفظ الثاني أكثر دلالة من الأول ورؤية القزويني حين جعل بلاغة المجاز تُستمد من الثاني. ونظير ذلك كثير في كلام العرب، ومنه ما سمّاه بالمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية 54].

لم يخل حديث النسوة من هذا الصنف الحجاجي، ومن هذا النوع الحجاجي قول الزوجة الثانية: "زُوجِي لَأَبُثُّ خَبْرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عُجْرَهُ وَبُجْرَهُ". فالشاهد في قولها: "إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ"؛ فالأول شرط والثاني جواب للشرط رغم تكرار اللفظ، ومكمن القيمة الحجاجية في تحول اللفظ من حجة إلى نتيجة. ولنوضح كيف يرتقي التماثل بهذه القضية الحجاجية في الخطاطة الآتية:



ومنه أيضا قول الزوجة الرابعة: "...لَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَةَ"؛ ففي هذين اللفظين "مخافة، سامة" ترادف صوتي ودلالي، وهو عبارة عن تكثيف للصورة المعنوية. وفي ذلك تعريض بزوجها مدحا أو على الأقل الرضى بزوجها؛ فالحجة حاضرة، والنتيجة مسكوت عنها. للتوضيح نضع الجدول الآتي:

الحجة	لَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَةَ
النتيجة	مسكوت عنها " تعريض بمدح أو رضى بزوجها على الأقل

2- 1- 2 -الحجج شبه المنطقية التي تعتمد الرياضيات:

ينقسم هذا النوع من الحجج إلى ثلاثة أنواع: حجة التعدية، إدماج الجزء في الكل، تقسيم الكل إلى أجزاء.

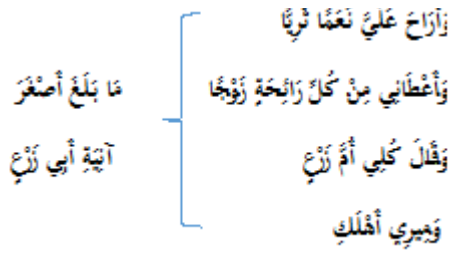
2- 1- 2- 1- حجة التعدية¹⁰:

وهي الحجج القائمة على علاقة التعدّي، ففي الاصطلاح الرياضيائي مثلا: (أ) < (ب).... و(ب) < (ج)، النتيجة ببساطة (أ) < (ج)، ومثال ذلك: صديق عدوّي عدوّي¹¹. وقد خلا منها حديث أم زرع.

2- 2- 1- 2- إدماج الجزء في الكل:

وهي حجج تنقل أجزاء قضية ما إلى نتيجة مجملّة، أو هي عملية لتجميع مفاصل حجاجيّة وجعلها كلا مشتركا، أو "تكون العلاقة في إدماج الجزء بالكلّ منظورا إليها عادة من زاوية كميّة؛ فالكلّ يحتوي الجزء وتبعا لذلك فهو أهمّ منه وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم"¹²؛ فأهميّة هذا النوع تكمن في جعل الكلّ موضع النتيجة والأجزاء موضع الحجج في أحسن الأحوال، وشبيه ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء، الآية 36]. ففي الآية الكريمة تفصيل لعمل الجوارح وجعل كل الأعضاء موضع المساءلة والحساب يوم القيامة، فالكلّ تجمععه المسؤولية والمساءلة، وكذلك قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج، الآية 32]؛ في إشارة إلى البدن التي يُستحسن أن تُستسمن. ومن خطاب النّسوة من هذا الصنف الحجاجي قول أم زرع عن زوجها أبو زرع مقارنة بزوجها الجديد: "فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةٍ أَبِي زَرْعٍ"؛ فجعلت النعم التي والخيرات التي أسرفها عليها زوجها الثاني لا تقارن بما منحها إياها زوجها الأول (طليقها) أبو زرع. للتوضيح نضع الخطأطة الآتية:



2- 1- 2- 3- تقسيم الكل إلى أجزاء:

ننقل الأهمية في هذا النوع من الكل إلى الأجزاء؛ فتعرض القضية ككل ثم تتفرع إلى أجزاء متجانسة لها نفس الأهمية أو تكون هذه الأجزاء معنية أكثر من الكل، والبرهنة على وجود الجزء غايته إثبات وجود الكل¹³. لتقريب المعنى يمكن أن نستشهد بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾. إن ذكر مقام الولاية في هذه الآية يتبعه ذكر شروطها من إيمان وتقوى ومن البشري التي ينالها الأولياء من اللاحوق واللاحزن، وأكثر من ذلك أن لهم البشري في حياتهم وبعد مماتهم. من أمثلة ذلك من حديث النسوة قول الزوجة التاسعة: "زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النَّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ". فهي تريد أن تقول فيه: "زوجي هو زوج مثالي؛ لكنها أطنبت في عدّ خصاله لإثبات مدحها إياه، ولا تتأتى فعلا هذه الصفة إلا بإثبات أو كشف ما هو موجود أولا؛ لذا حين يُقسّم الكل يفهم أنه إثبات للكل والجزء، وإن ذكر الكل فقط فيحتاج إلى توضيح أو تعقيب. ويمكن أن توضع هذه الحجة في الخطاطة الآتية:



تكمُن أهمية هذا الشّاهد الحجاجي في أنّ إثبات وجود هذه الصفات الجزئية هو إثبات وجود صفة جامعة، وهي "صلاح الزوج".

2- 2 - الحجج المؤسّسة على بنية الواقع:

2- 2- 1 - الاتّصال التّابعي:

وهو ضرب من الحجج يعتمد مبدأ تتابع الأحداث على أنّها حجج لنتيجة ما، ومن أنواع هذه الحجج:

2- 2- 1- 1 - الوصل السببي (الحجّة السببية):

تكون الحجّة عبارة عن سبب أو مجموعة أسباب مباشرة تفضي إلى نتيجة ما؛ أي لا تتحقّق النتيجة إلا بتحقيق السبب، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران، الآية 92]؛ فالإنفاق سبب في نيل البر. والحجّة السببية قد توظّف في اتجاهين؛ سبب يفضي إلى نتيجة، أو نتيجة يعقبها سبب كمبرر لهذه النتيجة، وقد تكون النتيجة متوقّعة أو متكهّن بها لا واقعة من ذلك قول الزوجة الثالثة: "زُوجِي الْعَشْتَقُ إِنْ أَنْطَقَ أُطْلِقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ"؛ فالقضية الأولى: "إِنْ أَنْطَقَ أُطْلِقَ"، والقضية الثانية: "وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ". فالطلاق نتيجة نطق الزوجة، وهي تعني أنّ الطلاق يقع بأدنى سبب وهو تعريض بزوجهما ذمّاً وكذلك السكوت لا يحمّد عقباه، وهو سبب لبقاء الزوجة كالمعلّقة؛ فهاتان القضيتان نتيجهما متوقّعة لا واقعة. توضع القضيتان في الجدول الآتي:

الحجّة السببية	النتيجة
إِنْ أَنْطَقَ	أُطْلِقَ
إِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقَ	أُعْلَقَ

2- 2- 1- 2 - حجّة الاتّجاه أو العدوى:

يؤتى بهذا النوع من الحجج للحدّ من توسّع الشيء أو الدعوة إلى انتشاره أو منع انتشاره؛ ومن شواهد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، ومن

ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: ((**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)). لم يرد كثيرا هذا الصنف الحجاجي في خطاب النسوة عدا ما خرج من لسان الزوجة الثانية في قولها عن زوجها: "... **إن أذكره أذكر عجره وبجره**؛ فتجرؤها على ذكر القليل يؤدي إلى الإفصاح عن الكل، فمبتدأ الحجة قولها : "**إن أذكره**"، ومنتهاها قولها: "**أذكر عجره وبجره**"، وفي عبارة أخراه تتشكل الحجة والنتيجة من شرط وجواب شرط؛ لكن برلمان يسمي هذه الأسلوب الحجاجي بـ "حجة الاتجاه أو العدوى".

2- 2- 2 - حجج الوصل التوايدي:

2- 2- 1 - الحجج الشخصية:

وتتعلق هذه الحجج بأعمال الشخص وسلوكاته؛ حيث تكون العملية الحجاجية بين الحجة والنتيجة هي علاقة بين الشخص وما يصدره من سلوك أو يتصف به من صفات، أو علاقة بين صفة وصفة لإثبات سلوك شخص أو علاقة بين صفة ثالثة وصاحبها، مثال ذلك قول الشاعر:

أروني بخيلا زاد عمرا ببخله ♦ ♦ ♦ وهاتوا كريما مات من كثرة البذل¹⁴.

أما "حديث أم زرع" فهو يعج بهذا النوع الحجاجي كون النسوة الزوجات هن في محل يعرجن فيه عن عيوب بعولتهن أو يعددن مناقب أزواجهن. من ذلك نلضي قول الزوجة الثانية: "**زوجي لا أبت خبره، إني أخاف أن لا أدرة، إن أذكره أذكر عجره وبجره**"؛ فهي تحتاج بسلوك مدعى وهو التستر على عيوب زوجها لتعدل عن التلاعب اللغوي، والاحتجاج بالنفي لأنها في موضع غير سائح بزوج بديل، وبالتالي غلبت حجتها الشخصية لأنها تخدم هدفها، وهو عدم التعرض لزوجها، وعدم نكثها لعهدا مع الزوجات العشر.

2- 2- 2 - حجة السلطة:

وتكون السلطة في هذا النوع مقدمة على الحجة نفسها أو تقويها، يقول عبد الله صولة: "والعادة في الحجاج تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه، وإنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيا بحجج أخرى غير حجة السلطة كما أنه كثيرا ما نعمل إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة في كلامنا"¹⁵ فالسلطة قد تكون شخصية متعلقة بالذات، كحديث الحكام

ورجال المال مثلاً، قد تكون متعلّقة بهيئة أو مؤسسة كالبيانات الصادرة عن هيئات الرئاسة والأمم المتحدة وغيرها. ولم نجد من قول النسوة من هذا النوع الحجاجي إلّا القليل كقول الزوجة الثالثة: "زَوْجِي الْعَشَقُّ، إِنْ أَنْطَقَ أَطْلَقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقَ"؛ وهو من قبيل حجة الخضوع للسلطة؛ أي سلطة الرجل على المرأة، وقولها هذا هو وصف لسلوك الزوج باعتبار سلطته على زوجته؛ فهذا الخطاب لم يصدر من متكلم ذي سلطة بل هو خطاب خاضع للسلطة. ونظير ذلك أيضاً قول الزوجة السابعة: "زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَرَ أَوْ فَلَكٍ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكِ".

2- 3- الحجج المؤسسية لبنية الواقع:

2- 3- 1- المثل والاستشهاد:

المثل أسبق من الاستشهاد في العملية الحجاجية؛ ذلك أنّ المثل تبنى عليه قاعدة ما للوصول إلى نتيجة ما، والاستشهاد يعقب القاعدة ليقوّيها ويزيدها وضوحاً وحضوراً؛ يقول عبد الله صولة: "لئن كانت الغاية من المثل تأسيس القاعدة فإنّ الاستشهاد من شأنه أن يقوّي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوّي حضور هذا القول في الذهن. وعلى هذا فإنّ الاستشهاد يؤتي به للتوضيح rendre clair في حين أنّ المثل يؤتي به للبرهنة ولتأسيس القاعدة"¹⁶، ويسمى المثل والمثال وهما لمفهوم واحد، "ويعتبر المثال "example"، الركيزة الثانية التي أقام عليها أرسطو تعريف العقل، وقد ميّز أرسطو بين ضربين من ضروب المثال:

1- المثال الواقعي المستمد من الماضي.

2- المثال الخيالي الذي يضعه الخطيب مثل الحكايات والقصص والأمثال¹⁷.

ومما ورد منه في حديث النسوة ما تفوّهت به الزوجة التاسعة حين قالت: "زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ". في هذا القول إشارة إلى البيت الشعري الشهير:

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَادِ ♦ ♦ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا¹⁸.

تصف الخنساء في هذا البيت أخاها بأنّه طويل النجاد، رفيع العمداد، كثير الرماد كناية على أنّه شجاع، عظيم في قومه، جواد، فعدلت عن التصريح بهذه

الصفات إلى الإشارة إليها ليكون هذا البيت مورد مثل لمضارب أخرى منها ما وظفته الزوجة التاسعة في وصف زوجها كناية لا تصريحاً، والغاية من هذا النوع الحجاجي هو الجمع بين وصف الشَّكْلِ؛ أي شكل الزوج، وصف أخلاقه في عبارة واحدة شهيرة تكون بمثابة المثل الشائع.

ولعل قول الزوجة الأولى: "زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ، غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ" هو بمثابة "مورد مَثَل" يصلح أن يُتداول إذا حضر مقامه الذي يستدعي الاستشهاد به. كقول القائل في سياق ما: "لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى، وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ" تدليلاً وإشارة إلى ما يناسب القضية المتحاجج فيها.

2- 3- 2 - التمثيل:

وهذا العنصر معقد ومتداخل فيما بينه وبين المثل ووجوه البيان من استعارة ومجاز، وتصلح الكناية كضرب لهذا النوع كقول الزوجة السادسة: "وَلَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ". فعبرة "لَا يُوَلِّجُ الْكَفَّ" كناية عن عدم مراعاة الزوج لحالها وإعراضه عن التَّسَّال عنها وتفقدتها؛ فهي لم تترك له شيئاً يُحمد عليه، وزادت حجتها قوة لما عمدت إلى المفارقة الأسلوبية "الكناية" ليكون الدَّم مزدوجاً ظاهراً مباشراً، وخفياً غير معلن.

3 - الآليات اللغوية وحجاجية الإيقاع:

3- 1- السَّلم الحجاجي:

إنَّ عرض الأقوال المتتابعة للنسوة يعدّ بمثابة تكثيف حجاجي للوصول إلى نتيجة ما أو طلب المخاطب بنتيجة مفادها الاقتناع وتقديم للمتكلم أكثر ما قيل في مفاصل الخطاب، وتتجلى تلك التراتيبات في حديث عائشة رضي الله عنها من خلال الخطاطبة الآتية:

قوله صلى الله عليه وسلم: النتيجة

كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمْ زَرْعٍ

- 11 الحجة - قالت الحادية عشرة...
- 10 الحجة - قالت العاشرة...
- 9 الحجة - قالت التاسعة...
- 8 الحجة - قالت الثامنة...
- 7 الحجة - قالت السابعة...
- 6 الحجة - قالت السادسة...
- 5 الحجة - قالت الخامسة...
- 4 الحجة - قالت الرابعة...
- 3 الحجة - قالت الثالثة...
- 2 الحجة - قالت الثانية...
- 1 الحجة - قالت الأولى...

تعدّ هذه الخطاطبة السّلمية ترتيباً لأقوال النّسوة من الأولى إلى الحادية عشرة، لكن لا يخضع هذا السّلم لقواعد القلب والنفي والتبديل التي تعزى لصاحب الحجاج اللغوي ديكرودucrot ؛ إذ إنّ السّلم الحجاجي لدى ديكرود يخضع لضوابط معيّنة، وتكون فيه الحجج مرتّبة وخاضعة لهذه الضوابط، ولا يستقيم السّلم الحجاجي إلّا بحضور عناصر لغوية تربط القول الحجاجي؛ ما جعل "دكرو" يميّز بين نوعين من المكوّنات اللّغوية التي تحقّق الوظيفة الحجاجيّة، أمّا النّوع الأوّل فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسمّيه روابط حجاجيّة، وأمّا النّوع الثّاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكوّنات معجميّة تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) الظرفية و(تقريباً) و(على الأقل...) الخ ويسمّيه عوامل حجاجيّة"¹⁹.

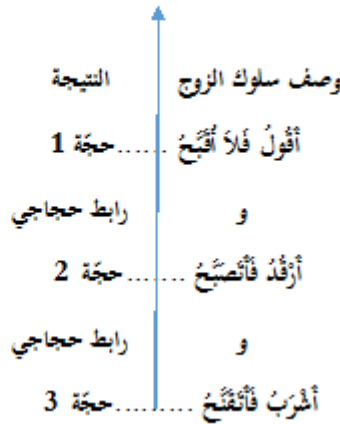
لأجل ذلك نلفي ترتيب الحجج في أقوال النسوة يكون خاصاً بكل عبارة على حدة، واستجلاء لهذا المفهوم نورد العبارات الآتية مرتبة حججها سلّمياً: قول الزوجة الحادية عشرة: فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ. يقسم هذا القول إلى حجج ونتائج؛ فتفرز الحجج كما يلي:

أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ حجة 1

وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ حجة 2

وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ حجة 3

والنتيجة هي وصف تام لسلوك زوجها، وهي نتيجة ضمنية للحجج اللغوية السالفة الذكر، والرباط الموظف في هذه الحجج هو "الواو"، وهو رابط حجج لا حجج ونتائج.



3- 2- العوامل الحجاجية والروابط:

تعدّ العوامل الحجاجية والروابط من صميم النظرية اللغوية للحجاج التي أرسى قواعدها أوزولد دكرو Oswald Ducrot رغم الجهود المشابهة لكل من موشلار وريبول -؛ إذ بهما تتأسس العملية الحجاجية وتكتسي اللغة طابعاً إقناعياً، وهي في ذلك تتعدّد وتختلف في طاقتها الحجاجية من لغة إلى لغة ومن مقام إلى مقام.

هناك من يرى أن لا فرق بين العوامل والروابط الحجاجية كـ "موشلار" و "ريبول" إلا أن "دكرو" يميز بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، أما النوع الأول فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسميه روابط حجاجية، وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل (منذ) الظرفية و(تقريباً) و(على الأقل) ... الخ ويسميه عوامل حجاجية²⁰؛ يعني ذلك أن ثمة فرق واضح بين العوامل والروابط؛ فالأولى تقوِّي القول الواحد ولا تخرج عنه أو بين الأقوال ذات الحجة الواحدة، والثانية تربط بين الحجج.

إن العوامل "لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريباً، كاد، كثيراً، ما...إلا، وجل أدوات القصر"²¹.

لهذه المكونات دور بارز في توجيه العملية الحجاجية؛ فحضورها في خطاب ما يجعل منه خطاباً يتباين مع غيره من حيث الطاقة الحجاجية. ومما عدّ أيضاً من أنواع العوامل أسلوب الحصر والنفي، لهما وظيفة خاصة من نقل الخطاب من البعد الإخباري الإبلاغي إلى البعد الإقناعي الحجاجي.

إذا أحصينا مجمل الروابط المستعملة في حديث "أم زرع" نجد أكثرها حرف "الواو" وهو من روابط العطف التي تعطف حجتين متتاليتين، فمثلاً إذا تأملنا قول الزوجة الحادية عشرة: "زُوجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَسَ مِنْ حُلِيٍّ أَدْنَى، وَمَأْ مِنْ شَحْمٍ عَضْدَى، وَبَجَحْنِي فَبَجَحْتُ إِلَى نَفْسِي، وَجَدْنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةٍ بِشَقٍّ، فَجَعَلْنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّنُ" نجد أنها استعانت في خطابها هذا بجليساتها بحرف "الواو" لتتدرج في قضيتها من أدنى حجة إلى أقواها، لتعزز قضيتها الحجاجية المتمثلة في وصف زوجها على العهد الذي عقدته مع النسوة، وهذه الحجج الموظفة أفاد رابط "الواو" فيها إفادة تساوقية؛ أي كل حجة تعزز التي بعدها وتقويها.

هذا الرّبط الحجاجي هو بين حجج متتالية، وهناك توظيف آخر لهذا الرّابط يكمن في استعماله بين قضية وقضية أخرى، كقول الزوجة الثّالثة: "رَوَجِي الْعَشَقُ إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ". والشاهد في قولها: إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ وَإِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ؛ إذ جاء الرّابط ليجمع بين قضية أولى، وهي عبارة عن حجة ونتيجة (إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ)، ثمّ قضية ثانية وهي كذلك حجة ونتيجة (إِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ)، للتوضيح ندرج الجدول الآتي:

القضية الأولى	الرّابط الحجاجي	القضية الثانية	النتيجة
إِنَّ أَنْطَقُ أَطْلَقُ (حجة ونتيجة)	وَ	إِنْ أَسْكُتُ أَعْلَقُ (حجة ونتيجة)	ضمنية وهي التعريض بالزوج

والملاحظ في هذا الحديث غياب العوامل الحجاجية إلّا ماورد في حديث الزوجة العاشرة: "مَا لِكُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمُبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ". فالعوامل المستعملة في هذه القضايا الحجاجية هي لفظتا "كثيرات، قليلات"، وهما وصفان أريد بهما تقوية لفظ "إبل" بجملة منعوتة لا لفظ لوحده؛ كون الجملتين "كثيراتُ الْمُبَارِكِ، قليلاتُ الْمَسَارِحِ" صفتين للإبل، وتقابل هاتين الصفتين على سبيل الطباق هو توضيح للوصف من منطلق المقولة البلاغية: "بالأضداد تُعرف المعاني".

3- 3- حجاجية الإيقاع:

الإيقاع آلية أخرى يعتمدها الحجاج في استمالة المتلقي، وبالرغم من أنّها ليست آلية مباشرة للإقناع إلا أنّها ترتبط بعنصر "الباتوس"²² المتعلق بالمخاطب، و"الإيقاع هو ذلك الانسياب، وهو عنصر يتوافر في الشعر و النثر، ويتضمن الحركة والشعور"²³، أو هو "تكرار الوقوع المطّرد للنّبضة أو النّبرة، وتدفّق الكلمات المنتظم في الشعر والنثر"²⁴، فلا يتحقّق الإيقاع إلا باستحضار قارئٍ ضمّني تتحرّك مشاعره وفق ذلك الإيقاع؛ حيث ينشأ "بفضل تلك الحركة المنبثقة من شعور المتلقي، فحركة الأحاسيس تسهم في حركة الإيقاع وبناءه"²⁵، والحقيقة أنّ الحديث عن الإيقاع يحيل إلى الشعر أكثر منه إلى النثر؛ ذلك أنّ الشعر ذو إيقاع منتظم وموسيقى خارجية تعتمد نظام التفعيلة وبحور الخليل؛ فهو بذلك إيقاع قبلي يعتمد هيكلًا موسيقيا جاهزا توضع فيه اللّغة وتشكّل داخله، أمّا إيقاع النثر فهو غير منتظم أو بالأحرى هو إيقاع بعدي

ينشأ بعد اللغة نتيجة تجانس الحروف والكلمات والتراكيب. ولعلّ المفهوم السائد بأنّ الشعر متعلّق بالإيقاع دون الإقناع، والعكس بالعكس بالنسبة للنثر هو مفهوم سطحي وغير دقيق؛ إذ "لا ينبغي أن ينحى بالمعاني أبداً منحى واحداً من التخييل أو الإقناع ولكن تردف التخييلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية، والإقناعية في الخطابة بالشعرية"²⁶.

أمّا عن خطاب النّسوة في حديث أم زرع؛ فقد غلب عليه الجانب الإيقاعي أو الإيقاع الداخلي المتولد من كثرة الاسجاع، وليس غريباً على الخطاب النّسوي أن تكون المرأة أكثر إيلاعاً بالموسيقى وأقرب إلى القلب من العقل لذلك اتّسم حديث الزوجات بالتنافس على تغليف أفكارهم بثوب لغوي مترنم ذي أسجاع لا تكاد تنقطع وكأن التنافس بينهن تنافس إيقاعي. وأكثر من ذلك نلّفي تواشجاً إيقاعياً في بعض كلام النّسوة كتظافر السجع مع التوازي كقول الزوجة السادسة: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفًّا، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفًّا، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ. فالشاهد في قولها: إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفًّا، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفًّا. فهذه الفواصل الإيقاعية مترتبة وعبرة عن حجج متوازية تخدم موضوعاً واحداً وهو كشف صفات الزوج في أقل ما يقال. لتوضيح هذه الحجج الإيقاعية نورد الجدول الآتي:

إِنْ / أَكَلَ / لَفًّا	إِنْ / شَرِبَ / اشْتَفًّا	إِنْ / اضْطَجَعَ / التَّفًّا
حجّة 1	حجّة 2	حجّة 3

4 - خاتمة "نتائج البحث":

- لعل الخطاب النسوي أميل إلى اللغة الرقيقة المرفهة ذات الإيقاع الظاهر والخفي والدلالة الواضحة المباشرة ذات الإيحاء السطحي القريب من ظاهر اللفظ.

- تكرار الحجج شبه المنطقية التي تعتمد المنطق وعلى رأسها حجج التناقض أو عدم الاتفاق هو أرقى استعمال لغوي يوظفه الخطاب النسوي للتعبير عن تناقض الرجال في معاملاتهم مع النساء، ومن شأن هذا الأسلوب الحجاجي أن يكون من صميم مباحث التداولية أو بالأحرى نظرية أفعال الكلام القائمة على إنجاز الأشياء بالكلمات؛ فهذا النوع من الخطاب النسوي يؤكد مقولة برلمان Perlman: "في الحجاج لا ينفصل العقل عن الإرادة ولا النظرية عن الممارسة"²⁷.

- حضور الإيقاع في الخطاب النسوي ينم عن سطحية دلالات هذا الجنس الخطابي ووضوحها، وهو ما يعكس طبيعة المرأة الأميل إلى الوضوح الفني في بلاغتها وأبعد من الغموض الفني في بلاغة الرجل وأسلوبه الأدبي.

- الخطاب بكل أجناسه مفتوحا على قراءات غير منتهية، لا سيما الخطاب النسوي لما له من خصوصيات، وطاقاته الحجاجية في تجدد دائم في ظل مقاربات حجاجية متنوعة (منطقية، بلاغية، لسانية) عرفت أسماء كبيرة (برلمان، ديكرو، أنسكمبر، تولمين)، ولم تزل تلك المقاربات تستقطر الخطاب عليها تستحدث رواافد حجاجية أخرى وتداولية، بعد استقراء غير منقطع للمتضمنات الخطابية التي لا تعرف حدودا معينة؛ كون الخطاب الإنساني يقبل أن تزلزله كل المقاربات الحجاجية والتداولية وغيرها؛ لكن هيهات أن تُخرج أثقاله.

- استطاع التحليل الحجاجي للخطاب النسوي وفق آلياته الحيادية أن يقارب النصوص التراثية في ظل انغلاق اجتماعي على واقع المرأة، ومقروئية محتشمة لخطابها؛ ليُخرجه من سرداب الإقصاء إلى صرح التداول.

- يمكن لهذه أن تفتح آفاقا بغية تحديث بعض المفاهيم والمصطلحات من شأنه أن ينصف المرأة في مقاربة خطابها، وتلقيه بعد تحيين معاني تلك المصطلحات وفق ما يستدعيه واقع الخطاب النسوي، ومعطياته الراهنة.

الهوامش:

- 1 - صحيح البخاري (5/1988 ح4893) كتاب النكاح، باب حُسْنِ الْمَعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ، باب حسن المعاشرة مع الأهل. صحيح مسلم (4/1896 ح2448) كتاب فضائل الصحابة. باب ذكر حديث أم زرع.
- 2 - عبد الله صولة: في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص43.
- 3 - القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي: بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، تح: صلاح الدين بن أحمد الإدلبي وآخرون، طبعة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المملكة المغربية، دط، دت، ص48.
- 4 - باتريك شارودو Patrick charaudeau: الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى)، تر: أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص44-45.
- 5 - عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص327.
- 6 - أكاديمي بلجيكي (1912-1984)، أستاذ بجامعة بروكسل، مؤسس ما يعرف بـ البلاغة الجديدة، من مؤلفاته: "البلاغة والفلسفة" (1952)، و"مصنف الحجاج" (1969)، و"الإمبراطورية البلاغية" (1977).
- 7 - الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص327.
- 8 - البيت من معلقة عمرو بن كلثوم وهو من الوافر.
- 9 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح: إبراهيم شمش الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003، ص208.
- 10 - أدرجها عبد الله صولة ضمن الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على المنطق أمّا سامية الدريدي فجعلتها من الحجج التي تعتمد على الرياضيات؛ فاخترنا الرأي الثاني كون التّعدية علاقة رياضية.
- 11 - ينظر: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص329.
- 12 - المرجع نفسه، ص330.
- 13 - ينظر: المرجع نفسه، ص331.
- 14 - علي الجارم؛ مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبدیع، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص177. والبيت نسب لمجهول.

- 15 - عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص335.
- 16 - عبد الله صولة: مرجع سابق، ص337.
- 17 - علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مكتبة الأدب المغربي، تونس، ط1، 2008، ص51.
- 18 - حمدو طماس: ديوان الخنساء، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ، 2004، ص31.
- 19 - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص376-377.
- 20 - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص376-377.
- 21 - أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التّحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمّو النّقاري، ص64.
- 22 - من مواضع التأثير الثلاثة التي اعتمدها أرسطو في تأسيسه للخطابة. للاستزادة يرجع إلى كتابة الخطابة (الريطوريا) بتحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي.
- 23 - مصلح عبد الفتّاح النّجار، أفنان عبد الفتّاح النّجار: الإيقاعات الرديفة والإيقاعات البديلة في الشعر العربي (رصد لأحوال التكرار، وتأصيل لعناصر الإيقاع الداخلي)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، العدد الأول، 2007، ص125.
- 24 - إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1986، ص57.
- 25 - صبيرة قاسي: بنية الإيقاع في الشعر الجزائري المعاصر فترة التسعينات وما بعدها، إشراف: د. أحمد حيدوش، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف، 2010/2011، ص22.
- 26 - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، فيفري 2008، ص323.
- 27 - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ، 2005م، ص45.